وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد محمد لخضر – الوادي
كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية قسم العلوم الإنسانية

السداسي الثالث : تخصص تاريخ حضارات قديمة

مقياس محطات و موانئ تجارية في حوض البحر المتوسط

المحاضرة الثانية : المحطة الحضارية و التجارية : مدينة صور

إعداد : الدكتور العمودي التجاني

ظهرت العديد من المدن التاريخية في حوض البحر الأبيض المتوسط ومن هذه المدن والحضارات الحضارة الفينيقية والإغريقية والرومانية ومن هذه المدن المدن العربية صيدا وصور في لبنان والإسكندرية في مصر ومدينة قرطاج في تونس، حيث أن هذه المدن كان دور كبير في نقل الحضارات.
يرى علماء الآثار والتاريخ أن العديد من المدن التاريخية التي اختفت واندثرت وتم العثور على أنقاضها وبقاياها كما ظهرت على آثارها مدن أخرى، ويرجع سبب اختفاء هذه المدن لعوامل خارجية مثل الغزو الأجنبي الذي يدمر أغلب الحضارات والعزل الذي يفرضه الغزو على هذه المدن.

هي مدينة بحرية لبنانية، تقع على شاطىء البحر الأبيض المتوسط .تعتبر مدينة "صور" من مدن لبنان الفينيقية من أشهر حواضر العالم عبر التاريخ للدور التي لعبته في الحقبة الفينيقية ان كان من ناحية سيطرتها على التجارة البحرية، انشائها المستوطنات التجارية حول المتوسط، نشر الديانات في العالم القديم، انشائها مستوطنة قرطاجة التي قارعت الدولة الرومانية، أو مقاومتها لزحف الإسكندر المقدوني .
تقع شبه جزيرة "صور" على الساحل اللبناني على الضفة الشرقية للبحر المتوسط على خطي عرض 16 -35 وخطي طول 33-16 وهي على بعد 85 كلم جنوب بيروت وعلى منتصف المسافة بين صيدا وعكا في فلسطين .ويحيط بها سهل ساحلي ضيق ممتد بين البحر و جبل عامل، يتراوح عرضه بين 1 و 2 كلم. ومحيط "صور" غني بالمياه العذبة .

تكونت جزيرة "صور" منذ حوالي مليون سنة، أما البر المقابل لها فقد سكن منذ أحد عشر الف سنة على الاقل أطلق الصوريون على مدينتهم اسم " صُر " SR – الذي يمكن إرجاعه إلى الأصل " طر " والذي يعني في أكثر اللهجات السامية الصوان أو الحجر الحاد دالاً بذلك على الطبيعة الصخرية القاسية التي بنيت عليها المدينة، فـ "صور" تعني بالفينيقية الصخرة.
اما اصل الصوريين فهم كانوا من الفينيقيين الذين سكنوا الساحل من رأس الشمرا حتى غزة في الجنوب، ويؤكد هيرودوت أن الفينيقيين كانوا يقطنون شواطئ البحر الأحمر ومنها قدموا إلى شواطئ لبنان وسوريا، أما جوستين فيروي فيرأ انهم تركوا اوطانهم الاصلية اثر حصول زلزال فيها وقدموا إلى شواطئ البحر المتوسط.

في سنة 980 ق.م تولى حيرام بن ابى بعل عرش "صور" وعمره عشرون عاماء ووصلت "صور" في أيامه إلى مركز حضاري وتجاري لا يجارى، وأصبحت بحق " درة البحر الأبيض وسيدة الأوقيانوسات ". وكان حيرام نشيطًا ومهتمًا بالمحافظة على ما حققه أسلافه من نجاحات خارج الحدود الصورية، فشن حربًا ضد الكتيين (القبارصة) لعصيانهم وتمنعهم عن دفع الجزية، وأرجعهم إلى الطاعة.

وفي عهده شهدت "صور" حركة عمران وإصلاح لم يعرفها تاريخ المنطقة من قبل، إذ وجه عنايته بادئ ذي بدء إلى حاضرته وعاصمة ملكه. وكانت "صور" حتى القرن العاشر تتألف من جزيرتين الشمالية (الرئيسية) التي كانت تقوم عليها المدينة، والصغرى إلى الجنوب الغربي، التي لم يكن عليها آنذاك سوى هيكل بعل السماء.

وقد سد حيرام القناة المائية التي كانت تفصل بين الجزيرتين، ووسع مساحة المدينة وجلب كميات كبيرة من الصخور والحجارة من الجبال إلى شرق الجزيرة الرئيسية، فربح بذلك مساحات اضافية توسعت المدينة عليها. وأولى حيرام دور العبادة عناية خاصة، فرمم القديمة منها، وجلب خشب الأرز من جبال لبنان لسقفها وأعاد بناء هيكلي ملقارت و عشترت، وأقام عمودًا من الذهب في هيكل بعل السماء.

اشتهرت صور منذ القدم بين كل مدن الشام بعظمتها وقوتها، فكانت تميل إلى عقد معاهدة مع الإسكندر لا إلى الخضوع له، ولذا أرسلت مع وفدها تاجاء من الذهب وكثيرا من المؤن الغذائية لجنده، فيأمر بقبول الهدايا باعتبارها من أصدقاء ويظهر حفاوة بالرسل ويبلغهم رغبته في تقديم القرابين لهرقل، في هيكله الذي يحمي جزيرة الصوريين بوجوده عليها"

ولكن الصوريين الذين لا يريدون أن يسمحوا لمقدوني أو فارسي بدخول مدينتهم، مفضلين عليها حياداء تاماء بين العدوين المتطاحنين، ينصحون سليل هرقل – كما كان الإسكندر يعتبر نفسه – بأن يضحي في هيكل "صور" البرية زاعمين بأنه أقدم بكثير من هيكل الجزيرة وأن تقديم القرابين في هيكل الجزيرة هو من حقوق ملوك الصوريين فقط.

وصور المبنية على صخرة في وسط البحر، مع منازلها ذات الطبقات الكثيرة، كانت محاطة بجدران من الحجارة الضخمة، يبلغ ارتفاعها مئة وخمسين قدماء وترتفع فوقها ابراج تسهل على حماتها مهمة الدفاع عنها، بينما كانت صفوف السفن متأهبة لسد الطريق بوجه من لا ترضى عنه " وكانت المدينة لا تؤخذ من البر إذ كان يفصلها عنه قناة يتراوح عرضها بين ثلاثة واربعة ملاعب، والبحر الذي يحيط بالجزيرة كان على جانب كبير من العمق، ولم يكن عنده مكان لنصب السلالم وتسلق الاسوار، إذ كانت هذه تنزلق حتى البحر ولا تترك مكاناء لقدم. إلى جانب هذه الصعوبة لم يكن للملك سفن يستطيع بواسطتها قذف ابراج المدينة، ولو حصل على بعضها، فعدم ثباتها وتلاعب الامواج بها يجعلان قذائفها اقل فعالية، عدا عن إمكان اصابتها ورد ضرباتها"

"ولم يبقَ امام الإسكندر سوى ردم القناة البحرية التى تفصل بين الجزيرة والبر، ويستولي اليأس على جنوده عندما يتحققون من عمق البحر الذي يصعب حتى على الالهة ردمه، ولكن الإسكندر الخبير بمعاملة جنده، يعرف كيف يستثير حميتهم."

ويجمع الإسكندر المقدوني قواده ويروي لهم أن جده هرقل ظهر له في الحلم واقفاء على اسوار المدينة ماداء يمناه ليقوده بها إلى الداخل، ثم يلقي بهم كلمة بليغة يثير فيها حماستهم ويذكرهم بأن هذه المدينة هي الوحيدة التى تجاسرت على مجابهتهم وإيقاف موجة انتصاراتهم، ثم دعاهم إلى حث الرجال على العمل وإلى عدم التهاون معهم. وفي كانون الثاني سنة 332 ق م، وبهذه الروح، تبدأ أعمال الحصار.

ويختتم المؤرخ الرومانى وصفه للحصار بقوله : " وتسقط صور في الشهر السابع من بدء الحصار (آب 332 ق م)، هذه المدينة التي اسسها آجنور والتي سيطرت أزماناء طويلة على البحار التي وصلت إليها سفنها. وإذا كان للمرء أن يصدق الأساطير، فإن الصوريين كانوا أول من علّم أو تعلّم الألفباء. ومن الثابت أن مدنهم كانت منتشرة في جميع أنحاء العالم : قرطاجة في أفريقيا، أما برج الحصار الذي احدث الفجوة

الأولى في الأسوار، وأعلام الفرق، وسفينة هرقل المقدسة التى غنمها الإكسندر عند هجومه على المدينة، فيقدمها لهيكل الإله بخشوع كبير.
ويأمر بإعادة بناء المدينة التي احترق قسم كبير منها، لتصبح قاعدة ومركزاً للقوى المقدونية على الشاطئ الفينيقي، ويعيد إسكانها بأبناء البلاد وبجماعات من الإغريق، ثم يعزل ملكها عزيملكوس، لميله للفرس، ويعين عبدلونيم، أحد أعضاء الأسرة المالكة، محله. وبخلع عزيملكوس عن عرش صور، نصل إلى نهاية قائمة ملوك "صور" الأبطال الذين بقيادتهم وحكمتهم توصلت صور إلى ان تبقى قرونًا طويلة ملكة البحار.
وعند رجوع الإسكندر من مصر في خريف 331 ق م مرَّ على صور وقدم القرابين ثانية لهرقل، ونظم احتفالات موسيقية ومسابقات رياضية، إكراماً لإله صور.

الجانب الاقتصادي:

وفي أيام الإمبراطور فسبسيان بدات صور بإصدار النقود للولاية الشامية كلها، إلى جانب النقود التي كانت تصكها كمدينة ذات استقلال ذاتي. واشتركت صور سنة 66 م مع باقي المدن الفينيقية وفلسطين بملاحقة، مبرهنة بذلك على ولائها الشديد للرومان.
وفي أيام الإمبراطور ترايان ذاعت شهرة صور بصك النقود، فجعلها هذا الإمبراطور أهم مركز لصكّها، وأصدر فيها تترادرخمات فضية تحمل صورته على أحد وجهيها، وملقرت أو إحدى شعاراته على الوجه الآخر، وجعلها قيد التداول في مناطق كثيرة، مستفيداً من نشاط الصوريين التجاري لتقوية النفوذ الروماني في تلك الأنحاء.
وبعد كلمة بليغة ألقاها الخطيب الصوري اباولوس امام الإمبراطور هدريان منح الإمبراطور صور لقب "متروبولس" (الحاضرة أو العاصمة) واضعاً بذلك حداً للنزاع بين صور وصيدون على هذا اللقب، وقد ساند هذا الإمبراطور جهود الصوريين الرامية إلى الحلول محل إنطاكيا كمركز ديني لكل المقاطعة الشامية.
وعلى إحدى الكتابات التي عثر عليها في بوتيولي، أحد مراكز تجارة الصوريين، وأكبر مدينة تجارية إيطالية في العهد الروماني تظهر صور كمدينة " مستقلّة مقدّسة وحرام، وعاصمة فينيقيا ". وأخذت أهمية صور التجاريّة والسياسيّة تزداد يوماً بعد يوم، حتى طغت على مركز صيدون التي كانت قد انتزعت منها الزعامة لفترة.

نقود تعود لحقبة ماضية في مدينة "صور"

وفي سنة 193 حدث ما يعكّر الجو السياسي في "صور" ويضرّ بهذا التقدم، إذ كانت المدينة ضحيّة للنزاع على عرش روما، الذي نشب بين نيجر والي الشام، وسبتيموس سفيروس والي بابونيا، وكان نيجر يقود قوات الشرق، ولكن صور ولاوديسيا أيدتا سفيروس . وعندما وصلهما أن نيجر أخفق في صد سفيروس عن ممرات طورس، اعلنت المدينان ولاءهما جهاراً لسفيروس، ودمّرتا إشارات نيجر العسكريّة وأعلامه، فأرسل هذا قوات موريتانية لتدمير المدينتين ووضع الحدّ على سكانهما، فقام هؤلاء بما أوكل إليهم ونهبوا صور وأحرقوها بعد إراقة كثير من دماء أهلها.
وبعد هزيمة نيجر سنة 194 كافأ سفيروس" صور" على ولائها وإخلاصها فأعاد إعمارها وجلب إليها سكّاناً جدداً كان أغلبهم من الفرقة الثالثة التى كانت ترابط في المنطقة.
وساعد صور على سرعة ازدهارها ما عمد إليه سفيروس من تقسيم الشام إلى ولايتين : الشام الداخلية والشام الفينيقية، وقد انتدّت الشام الفينيقيّة إلى أكثر بكثير مما كانت تمتد فينيقيا، فشملت حماة (اميزا) وتدمر، وجُعلت صور عاصمتها ومركز مجلسها الاتحادي (koinon) ومقر رئيسه.

دنانير صوررية تُعود للحُقبة الرومانية في المدينة

وبعد ذلك رفع الإمبراطور صور إلى درجة مستعمرة تتمتع "بالشرع الروماني "Jus Italicus وكل الامتيازات التابعة لهذا اللقب، كاعتبار أهل المستعمرة رعايا رومانيين، لهم ما لأبناء روما من الحقوق، واعفائهم من الضرائب الثلاث : الخراج والجزية والمكوس، والسماح لهم برفع دعاويهم من ديوان الحاكم المحلي إلى ديوان الإمبراطور في روما، وأصبحت المدينة تحمل لقب : "صور العاصمة مستعمرة سبتيموس سفيروس"، ومقراً للكتيبة الرومانية الثالثة.

كانت صور ماضية في الازدهار والانتعاش في تجارتها وصناعتها، وخصوصاً صناعة الأرجوان الصوري حتى أن روما احتفظت لنفسها بحق الإشراف على هذه الصناعة فيها.

تعتبر صناعة العاج لدى المدن الفينيقية مادة غريبة عليهم حيث تميزت بالمهارة في تحويل المواد الأولية المستوردة إلى تحف بديعة ، و اعتمدوا بشكل أساسي على العاج المستورد من ، وذكر المؤرخون مهارة الصوريين في صنع العاج أيضا يزخرفون به المساكن والمتاع بأشكال بديعة وكانوا يستجلبون سنان الأفيال اللازمة لذلك بطريقيتين ، فكانت قوافل اليمن تأتيهم من الهند بشيء من ذلك ، وسفنهم في المتوسط تأتيهم بشيء منه من شمال افريقيا إذ كانت الأفيال حينئذ كثيرة في نواحي مراكش و الجزائر و تونس لا كما أصبحت الآن محصورة في الأنحاء الواقعة تحت خط الاستواء و أكثر مصنوعات العاج ، وقد شكلوا من التي كشفت عنها في أطلال قصور الأشوريين صنعتها أيدي الفينيقيين 3 العاج أدوات صغيرة الخرازت والتمائم وفي كثير من الحالات كانوا يستبدلون العاج بالعظم ، لصناعة نفس الأدوات ، وتعود أقدم قطع العاج الفينيقية إلى القرن الثاني عشر ق م ، وهي عبارة عن تحف مصنوعة من العاج الفينيقية وجدت في مدينة مجدو والأمشاط التي كشفت في قبور في إسبانيا تتبع أسلوب مجدو .

صناعة النسيج:

كانت صناعة الغزل و النسيج من أهم الصناعات المنزلية التي قامت بدور كبير في مدينة وقد عثر المنقبون على الإتقان التي كانت تستخدم في الأنوال القديمة ، وقد ، صور الفينيقية ثبت أنهم استخدموا الأنوال في هذه الصناعة منذ الألف الثالثة ق م , وكانت المادة الخام اللازمة لهذه الصناعة تتمثل في الصوف والقطن ومن الكتان الذي كان يزرع بكثرة في بلاد وفي الواقع فلقد برع القوم في الحياكة وصناعة النسيج وكانوا، الشام منذ القرن العاشر ق م يستعملون في بادئ الأمر المواد الخام التي تقدمها لهم منطقتهم مستعملين أصواف قطعانهم و ا مواشيهم و لكنهم ما لبثوا أن استعانوا بما يستوردون من أصواف في بلاد الرافدين وتركي ومن ، وعرفت مدينة صور 3 ، ويشيد العهد القديم بمهاارتهم في هذا المجال 2قطن من بلاد مصر .

صناعة الزجاج :

برع الصوريون في صناع الزجاج الذي طالما نسب اكتشافه إلى المصريين القدامى، ويروي المؤرخون القدامى على اكتشاف الزجاج , و أتفق أن رست فيه ذات 3النعمان حاليا قرب عكا مشهورا بنعومة رماله ونظافتها ونقاوتها يوم سفينة فينيقية محملة بالنطرون (المواد الكيماوية)، وأنهم كانوا يستوردون هذه المادة من مصر ثم توسعوا في صناعة الزجاج على نطاق واسع ،حتى أصبحت صور من أكبر مراكز صناعته في حوض البحر المتوسط.